

أضواء البيان

@ 437 @ عَالِيَهُمْ مِّنْ سَبِيلٍ { ، فهذا عدل . ثم دعا إلى الإحسان بقوله :
وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ { ، وقوله { لَا
يُحِبُّ اللَّهُ الْجَاهِلَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا سَخَطَ لِمَنَ ظَلَمَ { فهذا عدل .
ثم دعا إلى الإحسان بقوله : { إِنَّ تَبْدُؤُواْ خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن
سُوءٍ فَلَا يَنَالُ اللَّهُ كَانَ عَفْوَاً قَدِيرًا { إلى غير ذلك من الآيات . .
فإذا عرفت هذا ، فاعلم أن العدل في اللغة : القسط والإنصاف ، وعدم الجور . وأصله
التوسط بين المرتبتين . أي الإفراط والتفريط . فمن جانب الإفراط والتفريط فقد عدل .
والإحسان مصدر أحسن ، وهي تستعمل متعدية بالحرف نحو : أحسن إلى والديك . ومنه قول تعالى
عن يوسف : { وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ { . وتستعمل متعدية
بنفسها . كقولك : أحسن العامل عمله ، أي أجاده وجاء به حسناً . وإِ جَل وعلا يأمر
بالإحسان بمعنييه المذكورين ، فهما داخلان في الآية الكريمة ، لأن الإحسان إلى عباد الله لوجه
الله عمل أحسن فيه صاحبه . وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإحسان في حديث جبريل بقوله
: (أن تعبد الله كأنك تراه . فإن لم تكن تراه فإنه يراك) . وقد قدمنا إيضاح ذلك (في
سورة هود) . .

فإذا عرفت هذا ، فاعلم أن أقوال المفسرين في الآية الكريمة راجعة في الجملة إلى ما
ذكرنا . كقول ابن عباس : العدل : لا إله إلا الله ، والإحسان : أداء الفرائض . لأن عبادة
الخالق دون المخلوق هي عين الإنصاف والقسط ، وتجنب التفريط والإفراط . ومن أدى فرائض
الله على الوجه الأكمل فقد أحسن . ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي حلف
لا يزيد على الواجبات : (أفلح إن صدق) . وكقول سفيان : العدل : استواء العلانية
والسريرة . والإحسان : أن تكون السريرة أفضل من العلانية . وكقول علي رضي الله عنه : العدل
: الإنصاف . والإحسان : التفضل . إلى غير ذلك من أقوال السلف . والعلم عند الله تعالى :
وقوله { يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ { . الوعظ : الكلام الذي تلين له القلوب .
تنبيه .

فإن قيل : يكثّر في القرآن إطلاق الوعظ على الأوامر والنواهي . كقوله هنا { يَعْظُمُكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ { مع أنه ما ذكر إلا الأمر والنهي في قوله : { إِنَّ اللَّهَ